مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة

مجلة

مجمع اللغة العربية

على الشبكة العالمية

السنة الرابعة

العدد الثاني عشر، ربيع الأول ١٤٣٨هـ- ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١٦م

مجلة علميّة، محكَّمة، تُعنى بنشر البحوث والدّراسات في اللّغةِ العربية، ونشرِ قرارات المجمع وآرائه وتنبيهاته ومقالاته وفتاويه وأخباره.

(تصدرُ مرةً كلَّ أربعة أشهر)

الراعي الفخري
مشعل سرور الزايدي

محتوى العدد

- **فاتحة العدد**، كلمة رئيس التحرير. ٧

القسم الأول: التنبيهات

- **التنبيه السابع عشر**: الترميز بلفظ «صلعم» أو حرف الصاد لجملة الصلاة الكاملة ١١

القسم الثاني: البحوث

- **ظاهرة الإشعار في العربية**، د. مصطفى شعبان. ١٥
- **الإعراب على الإعارة في النحو العربي: توصيف وتنظير وتطبيق**، أ. صفاء صابر مجيد البياتي. ١٠٩
- **مطابقة القرآن المجيد لكلام العرب لمحمد البهجة: دراسة وتحقيق**، د. عبدالله عبد القادر الطويل. ١٦١
- **«نعم» و«بئس» بين الدرس النظري والواقع الاستعمالي تطبيقًا على القرآن الكريم**، د. هدى أحمد حسن. ٢٦١
- **الخطاب السياسي الأوروبي حول المدن المتعددة الثقافات: دراسة في أساليب النفي والسلب**، د. عبدالرحمن السليمان وآخرون. ٣٣٥

القسم الثالث: المقالات

- **كتاب الفرق للأصمعي وتراث الفرق في العربية: عرض ومقارنة**، أ. عطاالله بوخيرة. ٣٨٣
- **«أَفْرَغَ» وَ«تَفَرَّغَ» وبعض مفردات عائلتيهما معنًى ومبنًى: تحقيق لغوي**، د. صادق عبدالله أبو سليمان. ٤١٣

- **نحو معجم لساني حاسوبي عربي: قراءة في المنهج والإجراء، د. سعيد فاهم.** ٤٢٥
- **أصول الدرس النحوي عند الشاطبي، للباحث حميد النهاري: عرض ونقد، د. عباس السوسوة.** ٤٥١

القسم الرابع: الملحقات

- **طائفة من أخبار مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية** ٤٧٧
- **قصيدة العدد: عين على أم اللغات** (فائزة بالمرتبة الأولى في مسابقة المجمع الشعرية لعام ١٤٣٧هـ)، للشاعر: محمد عريج. ٤٨٧

«نعم» و«بئس» بين الدرس النظري والواقع الاستعمالي تطبيقا على القرآن الكريم

د. هدى أحمد حسن محمد

- مكان وتاريخ الميلاد: الرياض، ١٩٧٤م.
- حاصلة على دكتوراه في فلسفة اللغة العربية (نحو وصرف) من جامعة النيلين في السودان، ٢٠٠٤م.
- أستاذ مساعد، بقسم اللغة العربية في جامعة النيلين.

الخلاصة

أسلوب المدح والذم واحد من أساليب اللغة العربية له خصوصيته البنائية والتركيبية، ويقصد به في الدرس النحوي إنشاء المدح بـ«نعم» و«حبذا» أو إنشاء الذم بـ«بئس» و«لاحبذا» في تراكيب محدّدة مقيسة على كلام العرب. وقد جاءت هذه الورقة مختصة بدراسة «نعم» و«بئس» دراسة نحوية نظرية وتطبيقية على القرآن الكريم، وحملت عنوان: «نعم» و«بئس» بين الدرس النظري والاستعمال القرآني.

تناولت في جانبها النظري الدرس النحوي لـ«نعم» و«بئس»، وخصوصيتهما البنائية على المستوى الصرفي، وبناء جملتهما على المستوى النحوي، ونوّهت إلى اللمحات الدلالية التي أدركها النحاة، مع إبراز جانب من الخلافات النحوية في تحليل هذا الأسلوب، والوقوف عند آراء المحدثين إزاء عدد من القضايا المختلف فيها، ورؤيتهم في منهجية تحليل هذا الأسلوب.

وتركّز الجانب التطبيقي في هذه الورقة على الاستعمال القرآني لـ«نعم» و«بئس»، وكان مما يجدر الوقوف عنده وقوع «ما» بعد «نعم» و«بئس»، إذ يلحظ المتتبع لها استعمالا خاصًّا في بعض صورها، كما كان تحديد موقع «ما» الإعرابي داخل الأسلوب من أوجه الخلاف بين النحاة. لتصل الدراسة إلى خصوصية تركيب أسلوب المدح والذم؛ ليكون من الأفضل ربطه بالنصوص الفصيحة – لا سيما القرآن الكريم ـ

حتى يعطي الملامح الدلالية العميقة، ويدعم الصورة الواقعية لاستخدام الأسلوب في أرقى صوره. إذ تستحق مثل هذه الأساليب أن تتناول وفقا للمنهج الوصفي، بعيدا عن إعراب الجزئيات التي تقود إلى خلافات جدلية تجنح بالدرس النحوي عن غايته الأساسية.

ومما تجلّى من الدراسة أن الاستعمال القرآني لجملتي «نعم» و«بئس» لم يخصص لهما جملا مستقلة، بل كان في ختام الآيات مما أفعم المعاني السابقة وأكدها، وهو استعمال مغاير لـ«نعمّا» و«بئسما» حال اتصالهما بـ«ما»؛ إذ له خصوصيته السياقية في القرآن الكريم.

Summary

Methodology of Grammatical Appraisal and Critics is one of Arabic Language methods that have its morphological and constructive peculiarity. The research is meant to be in Grammatical aspect in Appraisal Essay of «نعم» and «حبذا» or Critical Essay of «بئس» and «لا حبذا» in specific measured constructed sentences in Arabic speech.

This research paper is made specifically for the study of «نعم» و«بئس» which is a theoretical and applied grammar with respect of Holy Qur'an. This paper has a topic as: «Niima» and «Biisa» between theoretical study and Qur'anic application.

It also talked about the aspect of grammatical study of «نعم» و«بئس» and their structural peculiarity on the morphological level and their sentence formation at the Grammar level. I also pointed at semantic aspect that the grammarians found out showing the different views in analyzing this methodology. I stand by the modern grammarians in many different instances and their methods in analyzing this case.

The practical aspect of this research solely depended on Qur'anic usage of «Niima» and «Biisa» and what is more important is what come after them since observer can see a specific usage of «ما» after them in some of their usage. It is also observed that the stand of «ما» in sentence is point of different view.

All these are for the research to reach up to the exact structure of sentence construct so that it will be better to be related with the authentic texts - most especially Holy Qur'an- so that it can render deep semantic aspects. It also supports practical form of usage in its most magnificent form. Since this represents the methodology, we have to imbibe descriptive method of research far away from analyzing parts of the sentence that can result into extensive disagreement that can divert grammatical study away from its aim.

What appeared in the study is that the Qur'anic usage did not provide «Niima» and «Biisa» with main clause, but it their usage at the end of verses filled the previous meanings which is different for «نعمّـا» and «بئسـما» when they are conjugated with ما since it has its specific syntax in Holy Qur'an.

«نعم» و«بئس» بين الدرس النظري والواقع الاستعمالي، تطبيقًا على القرآن الكريم

إن المدح والذم معنيان لغويان، ولكل لغة منهجها في أداء المعاني المختلفة بطرائق متنوعة، ومن هنا يمكننا مدح الشيء أو ذمه بطرق عديدة مباشرة أو ضمنية، من خلال كلمات امتلأت بها معاجم اللغة، وقد تتدخل السياقات والقرائن في تأدية هذه المعاني.

وأسلوب المدح والذم من أساليب اللغة العربية ذات الخصوصية البنائية والتركيبية. وقد اختارت العرب أدوات عديدة لهذا الأسلوب كان الشائع منها أن يكون إنشاء المدح بـ«نعم» و«حبذا» وإنشاء الذم بـ«بئس» و«لاحبذا». كما استخدمت العرب الفعل «ساء» مقام «بئس»، وبنوا من الأفعال الثلاثية على وزن «فَعُل» لإنشاء معنى المدح أو الذم. وقد وردت هذه الصور في القرآن الكريم ماعدا المدح والذم بـ«حبذا» و«لاحبذا» فليس لهما استخدام قرآني.

تبحث هذه الورقة في جانبها النظري في التناول النحوي لـ«نعم» و«بئس»، والذي استُهلّ بوقوف النحاة عند خصوصيتهما البنائية على المستوى الصرفي، وبناء جملتهما على المستوى النحوي، وكذلك اللمحات الدلالية التي أدركها النحاة. وتَعْرِض الورقة جانبا من الخلافات النحوية في تحليل هذا الأسلوب، والتي أدت – أحيانا – إلى

انصراف النحو عن توخي دقائق الأسلوب وخصوصيته الدلالية، وأثقلت على ذهن المتعلمين بما لا يثري المعنى. وقد أثار ذلك المحدثين فنقدوا الدرس النحوي في تناوله لأسلوب المدح والذم في عدد من القضايا، وكانت لهم وقفات وآراء جديرة بعرضها والاستفادة منها في معاملة هذا الأسلوب تحليلا واستعمالا؛ ومن ثم فهم خصوصيته الدلالية في إنشاء المدح أو الذم.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم قمة البيان وهو النص المعجز، أكرم الله به العرب والعربية، إذ اصطفاها الله لغة لكتابه الكريم، وقد كان هذا الكتاب المقدس هو الحافز الأول للدرس اللغوي والنحوي عند العرب بالصورة المقننة التي جلتها آراؤهم ومؤلفاتهم.

لقد جاء النص المعجز بلسان العرب مستعملا جلّ أساليبهم بتنوعها في قمة بيانها وغاية إعجازها، ومن ذلك ما ورد في القرآن مدحا وذما مستعملا هذا الأسلوب، إذ ورد المدح بـ«نعم» في ثمانية عشر موضعا، وورد الذم بـ«بئس» في أربعين موضعا، ووردت «ساء» موقع «بئس» في ثلاثة وعشرين موضعا، كما ورد المدح والذم ببنية «فَعُل» في عدد من الآيات الكريمة، كقوله تعالى في مقام ذم: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥]. وكقوله تعالى في مقام مدح: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

وقد تركز الجانب التطبيقي في هذا البحث على الاستعمال القرآني لـ«نعم» و«بئس» دون بقية الأدوات، مع النظر إلى السياق الذي وردت فيه، على مستوى الآية أو الآيات السابقة والتالية لها، حسب المعنى الوارد في الآيات الكريمة.

وكان مما يجدر الوقوف عنده وقوع «ما» بعد «نعم» و«بئس»، إذ يلحظ المتتبع أن لها استعمالا خاصا في بعض صورها، كما كان تحديد موقع «ما» الإعرابي داخل الأسلوب من أوجه الخلاف بين النحاة.

وقد بدأ التناول بالجانب النظري، عارضًا منهج النحاة في درسهم لجمل المدح والذم بـ«نعم» و«بئس»، وآراء المحدثين ونقدهم للنحاة في قضاياهم الجدلية وإعراب جزئيات الأسلوب، مع وقفة خاصة مع «ما» إن وقعت مقترنة بـ«نعم» و«بئس». ثم يأتي الجانب التطبيقي متتبعا الاستعمال القرآني لـ«نعم» و«بئس»، و«نعمّا» و«بئسما»، ومن بعد أدرجت الآيات في جداول توضيحية جامعة لها، وقد عرض ذلك وفق المحاور التالية:

أولا: المعنى اللغوي والبناء الصرفي لـ«نعم» و«بئس»:

ثانيا: التناول النحوي والخلافات النحوية: وفيه:

١- عمق التحليل النحوي:

٢- الخلافات النحوية، وفيه:

أ/ الخلاف في اسمية «نعم» و«بئس».

ب/ إعراب جزئيات الأسلوب.

ج/ إعراب «ما» في «نعمّا» و«بئسما».

٣- الشواهد النادرة.

ثالثا: آراء المحدثين في أسلوب المدح والذم.

رابعا: الاستعمال القرآني لـ«نعم» و«بئس»، وفيه:

أ/ مواقع «نعم» في القرآن الكريم.

ب/ مواقع «بئس» في القرآن الكريم.

ج/ لحوق «ما» لـ«نعم» و«بئس» في القرآن الكريم.

خامسا: الجداول التوضيحية.

المعنى اللغوي والبناء الصرفي لـ«نَعِمَ» و«بَئِسَ»:

يقول ابن منظور: «النُّعْم بالضم خلاف البُؤس، يقال: يوم نُعْم ويوم بؤس...والاسم النعمة، ونَعِم الرجلُ يَنْعَم نَعمة، فهو نَعِم...وقال ابن جني: نَعِم في الأصل ماضي ينعم»(١).

ويقول في «بئس»: «يبئس ويبأس...على ما قلناه في نعم ينعم»(٢).

وفي كل واحدة منها أربع لغات:

(١) ابن منظور: «لسان العرب» ٧: ٤٤٧٨.

(٢) المصدر نفسه ١: ١٩٩-٢٠٠.

١- نَعِم وبَئِس، وهما الأصل في الاستعمال.

٢- نَعْم، وبَئْس، بالتخفيف.

٣- نِعِم. وبِئِس، بالإتباع.

٤- نِعْم، وبِئْس، بالتخفيف بعد الإتباع.

ويقول ابن مالك معلقا على اللغة الأخيرة: إنها «أبعد من الأصل وأكثر في الاستعمال»، ثم يسِمُ اللغات الثلاث المتقدمة بأنها «جائزة في كل ما كان من الأفعال والأسماء ثلاثيا أوله مفتوح، ثانيه حرف حلقي مكسور»(١).

ويؤكد ذلك الأشموني قائلا: «وكذلك كل ذي عين حلقية من «فَعِل» فعلا كان كـ«شَهِد» أو اسما كـ«فَخذ»(٢).

ويتجلى فيما سبق المنهج الوصفي الدقيق الذي تعامل به ابن مالك في جمعه للغاتها وإشارته للأصل في الاستعمال والأكثر في الاستعمال، كما يتضح أن الصورة الرابعة هي التي نجدها في أسلوب المدح والذم، وكأنما العربي قد اختار لغة محددة هي الأبعد عن الأصل لإنشاء معنى خاص وإفعامه بمعنى يقوي دلالتها على المدح أو الذم.

لقد استوعب النحاة خصوصية الكلمتين حال كونهما داخل أسلوب المدح والذم، ويوضح الصبان ذلك، مميزا بين استعمالين لغويين

(١) ابن مالك: «شرح التسهيل» ٢: ٣٣٩.

(٢) الأشموني: «شرح الألفية» ٢: ٢٧٧.

للكلمتين، فيقول: «أحدهما: أن يستعملا متصرفين كسائر الأفعال... وهما إذ ذاك للإخبار بالنعمة والبؤس... الثاني: أن يستعملا لإنشاء المدح والذم»[1].

عليه فإن «نعم» داخل هذا الأسلوب عند جمهور النحاة: فعل ماض جامد خصص لإنشاء المدح، أما «بئس»: فهي فعل ماض جامد خصص لإنشاء الذم. أما استعمالهما خارج الأسلوب فيلحظ فيه اختلاف ضبط البنية الفعلية والتصرف التام للفعلين باستعمالهما في صورة الماضي والمضارع والأمر.

التناول النحوي لأسلوب المدح والذم:

لعل المتأمل في الدرس النحوي يمكنه أن يتعرف على عدد من الملامح المنهجية الشائعة في مؤلفات النحاة، أولها: النهج العام للدرس النحوي، من وضع المصطلحات وتعريفها، وتحديد نوع الكلمة وإعرابها من خلال إدراك مكانها ودورها داخل بنائية الجملة، وثانيها: الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية؛ لإيضاح القاعدة المدروسة وتدعيمها؛ ولذا نرى إدراجهم للنادر الشاذ من أقوال العرب – أحيانا – في إطار القضايا المختلف فيها. وثالثها: الإشارات العميقة التي تهتم بالجوانب الدلالية أوالتحليلية التي يوردها النحاة، وهي عادة ما تتخلل

(١) الصبان: «حاشية الصبان» ٣: ٣٨.

جدلهم وبراهينهم في القضايا الخلافية، وهي ذات مادة جديرة باستغلالها والاستفادة منها في تحليل أساليب اللغة.

وكان من بين الأبواب النحوية التي يظهر فيها بجلاء المنهج النحوي باب المدح والذم، حيث تنبه النحاة لخصوصية الأسلوب بناء وتركيبا، إلا أنهم ظلوا يحاولون إخضاع مفرداته للنهج العام في درسهم النحوي، مما ولّد عددا من الخلافات، كخلافاتهم في تصنيف «نعم» و«بئس» بين الاسمية والفعلية والحرفية، وكذلك اختلافاتهم في إعراب جزئيات الأسلوب. وقد انبنى على هذه الخلافات عدد من الجدليات المركبة، حيث أخذ كل فريق يكد مؤيدا وجهة نظر محددة، ومفندا حجج من خالفها، وهذا ما تطلب استشهادا بشواهد لم يخلُ بعضها من الندرة والشذوذ. وفي ضوء هذه الجدليات برزت لمحات عميقة، ووقفات مهمة.

ولإيضاح ذلك نعرض القضايا التالية:

أولا: عمق التحليل النحوي:

كان للنحاة عمق تحليلي، وملاحظات ثرة، ووقفات وتعليقات، وقد برزت من خلال استقراء اللغة ومعايشتها والتمعن فيها، وقد ورد عدد من هذه التحليلات العميقة في أثناء الخلاف والجدل.

لقد التفت النحاة إلى خصوصية هذا الأسلوب في إنشاء معنى المدح والذم؛ لذا خصوه بالدراسة في باب منفصل، وقد ركز النحاة على فعلي

المدح والذم «نعم» و«بئس»، وابتدأوا بهما دراسة هذا الباب؛ وذلك لكثرة أحكامهما، ولأنهما الأكثر استخداما في اللغة موازنة بإنشاء المدح والذم بـ«حبذا» و«لا حبذا». بل أطلق عدد من النحاة على هذا الباب اسم: «نعم وبئس وما جرى مجراهما»(١)، واكتفى ابن هشام بتسمية الباب «نعم وبئس»(٢).

ومما يبرز جهد النحاة، وعمق طرحهم النحوي ما أثبتوه من خلال ملاحظتهم لاستعمال أساليب المدح والذم في واقع اللغة، وتتجلى ملاحظاتهم في تتبعهم لصوره المتعددة التي استخدمتها العرب لإنشاء معنى المدح والذم، إذ أشاروا إلى أنَّ «ساء» قد تقع موقع «بئس» في الاستعمال الفصيح، ومثاله قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الأعراف:١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء:١٧٣]، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

كما استنبط النحاة من ملاحظتهم كلام العرب جواز إفادة معنى المدح والذم من كل فعل ثلاثي يبنى على وزن «فَعُل» بفتح الفاء وضم العين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]، وقوله

(١) الأشموني: «شرح الألفية» ٢: ٢٧٥.

(٢) ابن هشام: «أوضح المسالك» ٢: ٢٤٣.

تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥]، حيث إن العرب «تجريه في الاستعمال وعدم التصرف مجرى «نعم»[١].

ومن الإشارات الدلالية الثرية التي تخدم الدرس الدلالي للأسلوب إشارتهم إلى البنائية الخاصة على المستوى الصرفي والنحوي، أما على المستوى الصرفي، فقد اتخذ العرب لفعلي المدح والذم «نعم» و«بئس» بنائية صرفية خاصة فانتقلت إلى الجمود، فلم تتصرف. وأجمع النحاة على عدم تصرفها، واختلفوا في النظرة التحليلية لعدم تصرفها، فاتخذه الكوفيون دليلا على اسميتهما؛ «لأن التصرف من خصائص الأفعال»[٢]، وذهب البصريون إلى القول بفعليتهما وأخذوا يعللون جمودهما تعليلا يشرح دلالتهما ويدعم معناهما، ويؤكد خصوصيتهما في تقوية معنى المدح والذم.

وهو ما نلمحه في قول ابن مالك عن «نعم» و«بئس» إنهما: «لا يتصرفان للزومهما إنشاء المدح والذم على سبيل المبالغة»[٣]، ويشبههما الصبان بالحرف في تأدية معنى الإنشاء، وهو معنى خاص بالحرف؛ مما جعلهما يفتقدان خاصية التصرف؛ لأن الحروف لا

(١) ابن الناظم: «شرح ألفية ابن مالك» ٤٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ١: ١٠٥.

(٣) ابن مالك: «شرح التسهيل» ٢: ٣٣٨.

تتصرف[1]، ويقول ابن يعيش في الإطار نفسه: «تضمنا ما ليس لهما في الأصل، وذلك أنهما نقلا من الخبر إلى نفس المدح والذم»[2].

ونقول: لقد وردت عبارات النحاة السابقة في إطار الخلاف في اسميتهما أو فعليتهما، وقد عللوا عدم التصرف بأنهما أدتا معنى خاصا فشابهتا الحرف، وعلى الرغم من الجدل الذي يبدو في هذه الخلافات إلا أنها تعد أقوالا خصبة لفهم البنائية الخاصة لهذا الأسلوب، والتي لجأ إليها العربي، مخالفا النهج العام الشائع القياسي في اللغة، ليسنّ له صيغة جديدة وتركيبا جديدا إنشائيا يؤدي به معنى له خصوصيته وقوته في أداء دلالة المدح والذم.

وعلى المستوى النحوي أدرك النحاة أن جملة المدح والذم إنشائية غير طلبية، وأنها جملة ذات تركيب خاص، جاءت مفعمة بمعاني المدح أو الذم، مما جعلهم يبحثون في مكونات هذا الأسلوب وفصّلوا في مؤلفاتهم وسم بنائية الجملة فيه، ومن ذلك ما لاحظوه في المرفوع الذي يكمل المعنى مع «نعم» و«بئس» إذ يستلزم كل منهما أن يكون بعدهما فاعل لا يخرج عن كونه فاعلا ظاهرا، معرّفا بـ(أل) أو مضافا لمعرّف بـ(أل)، أو مضافا لمضاف لمعرف بـ(أل)، فإن وقع اسم منصوب بعدهما أعرب تمييزا والفاعل ضمير مستتر يفسره ذلك التمييز، وكذلك

(١) الصبان: «حاشية الصبان» ٣: ٣٩.

(٢) ابن يعيش: «شرح المفصل» ٧: ١٢٧.

قد يكون هذا الفاعل كلمة «ما» ويشير عدد من النحاة إلى أن الغالب ألّا يخرج فاعل «نعم» و«بئس» عن أحد الأقسام المذكورة[١].

ويجسد التمثيل الآتي الصور التي حصرها النحاة لفاعل «نعم» و«بئس»:

١. نعم الرجل المخلص في عمله، وبئس الرجل المتهاون في مسؤولياته. فالفاعل في هاتين الجملتين مقترن بـ«أل».

٢. نعم رادع المجرمين القانون الصارم، وبئس مفرق المجتمعات الصراع الطائفي. والفاعل هنا مضاف لاسم بعده مقترن بـ«أل».

٣. نعم قارئ كتب الأدب المثقف، وبئس متابع أحاديث الناس التافه. الفاعل في هذا التمثيل مضاف لمضاف يليه المضاف إليه مقترنا بـ«أل».

٤. نعم قائدا الحاكم العادل بين رعيته، وبئس قائدا الحاكم الظالم لرعيته. الفاعل في هذا التمثيل ضمير مستتر يفسره المنصوب الذي بعده؛ لذا أعرب هذا المنصوب تمييزا.

٥. نعم ما يقول الحكيم، وبئس ما ينطق به السفيه. فاعل «نعم» و«بئس» هو كلمة «ما». ويفهم من هذا الحصر الدقيق خصوصية هذين الفعلين في تركيبهما مع الفاعل الذي بعدهما، فلا يتوقع أن يُركّبا مع ضمير الرفع المتصل[٢]، بأن نقول مثلا: «محمد وعلي نَعِمَا» فهي جملة

(١) الأشموني: «شرح الألفية» ٢: ٢٧٧.

(٢) إلحاق ضمائر الرفع بـ«نعم» و«بئس» لغة ضعيفة. يقول سيبويه عن فاعلهما: «لا =

خاطئة بالرغم من أننا نقول: «محمد وعلي حضرا» ولا يتوقع أن يقع العَلَم فاعلا لهما، ولا اسم الموصول، ولا اسم الإشارة، ولا الاسم الظاهر إذا لم يطابق الصور التي حددوها.

ومن الخصوصيات البنائية في هذين الفعلين استحسان حذف تاء التأنيث منهما حتى إذا كان فاعلهما مؤنثا حقيقيا، فيرجّح أن نقول: نعم الأم فاطمة على أن نقول: نعمت الأم، وقد نبعت هذه الخصوصية البنائية من الخصوصية الدلالية إذ تدل «نعم» على المدح العام وتدل «بئس» على الذم العام، وهو أمر يفطن إليه ناظم الألفية عندما يتحدث عن حذف التاء منهما، فيقول:

والحذفُ في «نِعمَ الفتاة» استحسنوا
لأنَّ قصدَ الجنسِ فيه بَيّنُ

كذلك أفرد النحاة حديثا عن وقوع المخصوص بالمدح أو الذم متقدما أو متأخرا عن «نعم» و«بئس» وأشاروا إلى حذفه من الأسلوب، وما يصحب ذلك من إعرابات متعددة بتعدد آراء النحاة، ففي قولنا – مثلا– نعم القائد خالد. يجوز إعراب مخصوص المدح(خالد) خبرا لمبتدأ محذوف وجوبا، أو إعرابه مبتدأ مؤخرا ويشير ابن مالك لصورة

=
يكون ضميرا ظاهرا» (الكتاب ٢/ ١٧٩).

من صور هذه الخلافات في حديثه عن المخصوص بالمدح أو الذم، إذ يقول:

ويُـذكرُ المخصـوصُ بعـد مبتـدا أو خبـر اسـمٍ لـيس يبـدو أبـدا
وإنْ يُقـــدَّمْ مُشْـــعِرٌ بـــه كـــفى كـ«العلمُ نعم المقتنى والمكتفى»

ثانيا: الخلافات النحوية:

كان للنحاة أصول وضعوها مستقاة من الواقع اللغوي، وقد انتظم في ركابها الغالب الأعم من اللغة، إلا أن ثمة كلمات وتراكيب جاءت مخالفة للنهج العام فيها، ولها خصوصيتها البنائية والدلالية، وهذا شأن اللغات جميعها.

وعلى الرغم من إدراك النحاة لهذه الخصوصية البنائية التي وُجدت لأداء معنى خاص، ظلوا يحاولون إخضاع جزئيات هذا الأسلوب للنسق الشائع في اللغة، مما ولّد خلافات بين النحاة في عدد من القضايا، كتحديد نوع الكلمة اسما أو فعلا أو حرفا، وتحديد الموقع الإعرابي لكل جزئية من جزئيات هذا الأسلوب.

وقد نتجت هذه الخلافات من فرضهم النهج العام على أسلوب خاص بناءً ودلالةً، وقصورهم في البحث عما تقتضيه الأساليب الخاصة من نظرة وتحليل، ودراسة وصفية نابعة من واقع استخدامها في الأساليب الفصيحة؛ فكان من أوجه قصور الدرس النحوي القديم انتهاجه المنهج المعياري في الحكم بالخطأ والصواب، والجواز وعدم الجواز، على صور مفترضة في هذا الأسلوب، وتقدير معان وتكلف

إعرابات لما ورد غير متّسِقٍ مع أحكام الجواز وعدم الجواز التي اختلفوا فيها.

الخلاف في «نعم» و«بئس» بين الاسمية والفعلية:

يعج باب «نعم» و«بئس» بخلافات نحوية متعددة يبرز في أولها الخلاف في عدّ «نعم» و«بئس» فعلين أو اسمين، ومنبع هذا الخلاف عدم تصرفهما وجمودهما كالحروف، ويلخص ابن الأنباري هذه المسألة الخلافية بقوله: «ذهب الكوفيون إلى أن «نعم» و«بئس» اسمان مبتدآن، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وإليه ذهب علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين»(١).

ويؤكد السيوطي أن الإجماع حاصل على أنهما فعلان خارج الأسلوب الخاص المنسبك، «وإنما الخلاف فيهما بعد الإسناد إلى الفاعل، فالبصريون يقولون: (نعم الرجل) و(بئس الرجل) جملتان فعليتان، وغيرهم يقول: اسمان محكيان نقلا عن أصلهما، وسمي بهما المدح والذم كتأبّط شرا ونحوه...»(٢).

الخلاف في إعراب جزئيات الأسلوب:

لقد انبنى على الخلاف السابق اختلاف النحاة في إعراب جزئيات الأسلوب، وقد شغل ذلك حيزا كبيرا من درسهم، وموجزه أن من «قال

(١) ابن الأنباري: «الإنصاف في مسائل الخلاف» ١: ٩٨.

(٢) السيوطي: «الهمع» ٢: ٨٤.

باسمية نعم وبئس أعربهما مبتدأ، بعدهما خبر، ويجوز العكس»[١]، ومن قال بفعليتهما أعربهما مع فاعلهما: فعل وفاعل، وأعرب المخصوص «إما مبتدأ خبره نعم وفاعلها، وإما خبر مبتدأ ملتزم حذفه»[٢].

إلا أن الواقع اللغوي من الأساليب الفصيحة أنتج خلافات أخرى، إذ لم يكن الأمر منسابا دوما مع هذه الإعرابات التي قال بها النحاة، ومن ذلك قولهم مدحا: نعم رجلًا زيدٌ، إذ ذهب الجمهور إلى أن الفاعل ضمير مستتر، وينقل الأشموني الخلاف في ذلك قائلًا: «وذهب الكسائي إلى أن الاسم المرفوع بعد النكرة المنصوبة فاعل «نعم» والنكرة عنده منصوبة على الحال، ويجوز عنده أن تتأخر...وذهب الفراء إلى أن الاسم المرفوع فاعل كقول الكسائي، إلا أنه جعل النكرة المنصوبة تمييزا منقولا...»[٣].

كما اختلفوا في فاعل «نعم» و«بئس» إن لم يقع اسم مرفوع بعدهما، كقوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾، أو خلافهم في جواز وصف فاعلهما، يقول ابن مالك: «وقد يوصف فاعلها خلافا لابن السراج والفارسي» واستدل من أجازوه بقوله تعالى في سورة هود: ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾[٤]، وقد اختلفوا في توجيه المعاني

(١) الصبان: «حاشية الصبان» ٣: ٣٨.

(٢) ابن مالك: «شرح الكافية» ١: ٤٧٩.

(٣) الأشموني: «شرح الألفية» ٢: ٢٨٥.

(٤) ابن مالك: «شرح التسهيل» ١: ٤٧٩.

كلٌّ وفق الرأي النحوي المرجح والمختار عنده.

الخلاف في توجيه «ما» بعد «نعم» و«بئس»:

ومن أوجه الخلاف التي شغلت حيزا في دراسة أسلوب المدح والذم الخلاف في إعراب «ما» التي قد تقع مقترنة بـ«نعم» و«بئس» في بعض المواضع في كلام العرب، كما أن هذا التركيب قد ورد في النص القرآني ومنه قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة:٢٧١]، وقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾ [البقرة:٩٠].

وقد فصلت عدد من الكتب النحوية في بيان الأوجه الخلافية الواردة في ماهية (ما) وفي إعرابها، ومن ذلك قول ابن الناظم: «عند أكثر النحويين: أن «ما» في موضع نصب على التمييز للفاعل المستكن، وهي نكرة غير موصوفة... وذهب ابن خروف إلى أنها فاعل، وهي اسم تام معرفة، وزعم أنه مذهب سيبويه...»[(١)]، ولعل هذه الخلافات في تحديد الموقع الإعرابي كانت بناء على ما ذهب إليه سيبويه من أنها اسم، إذ يقول: «ونظير جعلهم (ما) وحدها اسما قول العرب...غسلته غسلا نعمّا، أي نعم الغسل»[(٢)]، وتبعه النحاة في ذلك باحثين عن موقعها الإعرابي؛ إذ تقتضي الأسماء مواقع إعرابية. وقد بدا الاضطراب

(١) ابن الناظم: «شرح الألفية»٤٧٢.

(٢) سيبويه «الكتاب» ١/ ٧٣.

والتداخل بين مذاهب النحاة في تحديد موضع إعرابي لـ(ما)، وذلك على الرغم من محاولاتهم ربط هذه الإعرابات بالمعاني.

وقد أورد الفراء في معانيه رأيا تتحدد فيه ماهية (ما) وفقًا للتركيب الواردة فيه؛ إذ يرى أن (ما) لا تلي «نعم» و«بئس» «إلا أن تنوي بهما الاكتفاء، دون أن يأتي بعد ذلك اسم مرفوع»[(١)]، ويعني بالاكتفاء: الاستغناء عن المخصوص، وذلك إذا اكتمل المعنى، ويتحقق ذلك بوقوع جملة تصلح أن تكون صلة ويكتمل بها المعنى، وعليه تعدّ (ما) موصولة، ويمثل لها بقوله: بئسما صنعت.

أما إذا «جعلت «نعم» صلة لـ(ما) بمنزلة قولك: «كلّما» و«إنّما» كانت بمنزلة «حبّذا»، ورفعت بعدها الأسماء.»[(٢)]. وقد عرض الرضي هذا الرأي قائلا: «واختلفوا في «ما» هذه فقيل: هي كافة هيّأت «نعم» و«بئس» للدخول على الجمل، كما قيل في (قلّما) و(طالما)»[(٣)]. وهي على هذا الوجه تعدّ حرفا، ولا محل له من الإعراب.

وجميع هذه الآراء كانت مجالا للقبول والرفض والأخذ والرد، وقد أوردت بعض الكتب النحوية الرد على هذه الأوجه، وبينوا وجه الضعف فيها.

---

(١) الفراء «معاني القرآن» ١/ ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) الرضي: «شرح كافية ابن الحاجب» ٢: ٢٩٤.

ثالثا: الشواهد النادرة:

وفي ظل هذه الخلافات كان كل فريق من النحاة يجتهد في تأييد مذهبه فيورد بعضا من أقوال العرب التي وسمت بالندرة أو الشذوذ، واحتملت التأويل أو تقدير المحذوفات، ومن ذلك:

١- قول العرب: «بها ونعمت» وقد احتج عدد من النحاة على فعلية «نعم» بدخول تاء التأنيث الساكنة عليها، وهي مما اختص به الفعل الماضي، والحجة مردودة بمخالفة هذه التاء لتاء التأنيث وعدم لزومها للمؤنث، «ألا ترى أن قولك: قام المرأة...لا يجوز...بخلاف قولك: نعم المرأة، وبئس الجارية، فإنه حسن في سعة الكلام»(١).

٢- ما سمع عن بعض العرب: نعما رجلين ونعموا رجالا، حيث اتصل ضمير الرفع بها، وهو لا يتصل إلا بالأفعال، ولكنها لغة قليلة نادرة، وعنها يقول ابن الناظم: «وقد مرت حكاية نعما رجلين ونعموا رجالا، إلا أن هذا ومثله قليل نادر»(٢).

٣- قول الأعرابي حينما بشّر بمولودة أنثى: «والله ماهي بنعم الولد»، وقول أعرابي آخر: «نعم السير على بئس العَيْر»، وبه استدل الذاهبون إلى اسمية «نعم» و«بئس»؛ إذ دخل حرف الجر عليها، ورده

(١) ابن الأنباري: «الإنصاف» ١: ١٠٧.

(٢) ابن الناظم: «شرح الألفية» ٤٧٠.

المعارضون بتأويله، وأن «الحكاية فيه مقدرة»[١]، والمعنى: بولد مقول فيه نعم الولد، وعير مقول فيه بئس العير.

٤- قول الشاعر:

صبَّحك الله بخيرٍ باكرٍ بِنِعْمَ طيرٍ وشبابٍ فاخرِ

حيث دخل حرف الجر عليها وأضيفت إلى ما بعدها، مما دعم به القائلون اسميتها، واعتدوا هنا بالإضافة، ورد الرادون بقولهم: «سمي بها محكية؛ ولذا فتحت ميمها»[٢]. و«المعنى: صبحك الله بكلمة «نعم» منسوبة إلى الطائر الميمون»[٣].

٥- ومما استشهد بها النحاة على اسمية «نعم» و«بئس» قول العرب: «يا نعم المولى ونعم النصير»؛ إذ إن النداء من خواص الأسماء، ورد المعارضون بتأويل منادى محذوف، وقولهم: «فيك نعم الخصلة» أخبر عن «نعم» ولا يقع المبتدأ إلا اسما، ورد المعارضون بتأويل محذوف تقديره: فيك خصلة نعم الخصلة. وكذلك ما حكاه قطرب من قول العرب: «نعيم الرجل زيد»، وردها عدد من النحاة بقولهم: «هذا مما

(١) ابن الأنباري: «الإنصاف» ١: ١١١.

(٢) السيوطي: «الهمع» ٢: ٨٤.

(٣) ابن الناظم: «شرح الألفية» ٤٧٠.

ينفرد بروايته قطرب، وهي رواية شاذة»[1].

ومما سبق ينجلي لنا عدد من الأقوال والشواهد النادرة المؤولة التي دعم بها كل فريق من النحاة رأيه، وهي في مجملها قد لا ترقى إلى المستوى المثالي العالي في اللغة، لكنها تظل صورة لاستعمال العربي لهذا الأسلوب.

لقد خاض النحاة في هذه الجدليات على الرغم من عمق إشاراتهم وتحليلاتهم التي استوعبوا بها خصوصية الكلمتين داخل هذا الأسلوب الإنشائي، والذي خرج من مجرد إفادة الخبر إلى إنشاء معنى أقوى في دلالته على المدح والذم. وقد أثقلت هذه الخلافات وغيرها كاهل النحو، وجعلته ثقيلا على قلوب متعلميه، ولذا فقد انتقد المحدثون الدرس النحوي، ودعوا إلى دراسة هذا الأسلوب وتحليله وإعادة النظر فيه وفق رؤية جديدة، تجلي خصوصيته التركيبية وتبرز غايته الدلالية.

آراء المحدثين ووقفاتهم:

لقد وقف المحدثون عند عدد من القضايا، أهمها:

١ - فِعْلِية «نعم» و«بئس»: يقول إبراهيم السامرائي: «هذه المواد من الأفعال التي تفرغت من الدلالة الفعلية، وهي الحدث المقترن بالزمان؛

(١) ابن الأنباري: «الإنصاف» ١: ١١٨.

للدلالة على المدح والذم في أسلوب خاص»[١]. ويذهب هذا المذهب محمد خير الحلواني إذ يقول: «ولهذين الفعلين تركيب خاص يقعان فيه»[٢].

بينما ينفي عبد الرحمن محمد أيوب اسمية هذه الكلمات أو فعليتها، من خلال النظر إلى الجملة متكاملة، أما تمام حسان وتلميذه فاضل الساقي فقد ذهبا إلى أن هذه الكلمات تدخل تحت قسم خاص من أقسام الكلام هو: الخوالف، يقول تمام حسان: «فإذا كان لابدّ من تصنيفهما فهما من الخوالف التي لا هي بالأسماء ولا بالأفعال»[٣]، وقد وافق يوسف الحمادي هذه الفكرة مما تجلى في دراسته لهذا الباب تحت عنوان «خالفة المدح والذم»[٤].

٢- خصوصية الأسلوب: نظر المحدثون إلى جملة «نعم» و«بئس» على أنها تراكيب إفصاحية متكاملة، تنشئ معنى إفصاحيا، ورأى عبدالرحمن أيوب أنها جملة غير إسنادية، كجملة النداء وجملة التعجب، ومن ثم أخرجها من إطار الجمل الاسمية والفعلية[٥]. ورأى

(١) إبراهيم السامرائي: «الفعل زمانه وأبنيته» ٧٤.

(٢) محمد خير الحلواني: «المغني الجديد في علم الصرف» ١٩٩-٢٠٠.

(٣) تمام حسان: «الخلاصة النحوية» ١١٥.

(٤) يوسف الحمادي: «النحو في إطاره الصحيح» ١٧٢.

(٥) عبدالرحمن محمد أيوب: «دراسات نقدية في النحو العربي» ١٢٩، يقسم عبد =

السامرائي أنها: «جمل فعلية غير إسنادية»[1].

وقد دعا عدد من المحدثين إلى مراعاة الخصوصية التركيبية الدلالية، وهو ما نلمحه في حديث تمام حسان إذ يقول عن مستخدم أسلوب المدح والذم: إنه «لا يصوغ جملة ذات ركنين مطردي الصياغة، كأن يكون الفعل فعلا والفاعل فاعلا بلا خلاف، وإنما تعد هذه الجمل من العبارات المسكوكة، التي لا تتفق في تفاصيلها مع شروط صوغ الجملة»[2]، ويدعو الحلواني لحصر صور الأسلوب في الواقع اللغوي بدراسته دراسة وصفية، إذ يقول: «ولهذين الفعلين تركيب خاص يقعان فيه، هو: الفعل+ فاعل محلى بأل الجنسية+ المخصوص بالمدح أو الذم»، مشيرا إلى إمكانية صور أخرى.

٣- الخلافات والإعرابات التفصيلية: أشار عدد من مؤلفي الكتب النحوية الحديثة إلى الصور الإعرابية التي ذكرها النحاة القدماء، كما أوردوا اختلافاتهم وتأويلاتهم، لكن عباس حسن من خلال عرضه

=

الرحمن أيوب الجمل إلى إسنادية وهي (الجمل الفعلية والاسمية)، وجمل غير إسنادية: كالتعجب والمدح والذم والنداء، ويرفض وسم الجمل غير الإسنادية بالفعلية أو الاسمية.

(١) إبراهيم السامرائي: «الفعل زمانه وأبنيته» ٢٠.

(٢) تمام حسان: «الخلاصة النحوية» ١٤٨.

للأوجه الإعرابية دعا لملاحظة المعاني الدقيقة المتباينة في كل صورة من صور الإعراب.

وانتقد السامرائي اشتغال النحاة بهذه الخلافات، ويرى «أن النحاة لم يشغلوا أنفسهم بشيء كثر في لسان العرب، بل اهتموا بمسائل لم ترد إلا قليلا وأوردوا فيها المشكلات الصعبة فاختلفوا وذهبوا مذاهب شتى»[(١)].

بينما اختار تمام حسان وجها إعرابيا ميسّرا، غير متجاهل إيضاح المعنى وبيان دقائقه، إذ يقول: «وخير إعراب لهذه الخوالف أن يعتبر المخصوص مبتدأ غير محفوظ الرتبة، إذ قد يتقدم أو يتأخر، وما سواه في التعبير خبر، فإذا نظرنا إلى هذا الخبر وجدناه يتألف من الخالفة وضميمتها، والتي تعتبر دائما أعم من المخصوص، ويعتبر المخصوص من جنسها ولذلك تقف منه دائما موقف التفسير»[(٢)]، وقد ذهب هذا المذهب يوسف الحمادي، متعاملا مع «نعم» أو«بئس» ما بعدهما مباشرة كوحدة، لا مجال لإعراب جزئياتها.

٣- إعراب «ما» الواقعة في قولنا «نعمّا» و«بئسما»: لقد خص النحاة هذه القضية بحديث، حيث تجلّى لهم اضطراب النحاة واختلافهم في

(١) إبراهيم السامرائي: «الفعل زمانه وأبنيته» ٧٥.

(٢) تمام حسان «اللغة العربية معناها ومبناها» ١١٦.

تحديد الموقع الإعرابي لـ«ما»، وكونها مبنية -لا تنجلي علامة إعرابية في آخرها- جعلهم يتنقلون بين الرفع والنصب مقدرين ومؤولين، ويرى السامرائي أن في هذه الاختلافات الإعرابية «دليلًا على أن هذه المسائل قلقة في مكانها، بل قل: إنهم لم يهتدوا إليها اهتداء كافيًا، فهي إما كذا أو كذا أو كذا...»[1].

بينما وقف عباس حسن عند هذه الأوجه المختلفة داعيا إلى ملاحظة المعاني الدقيقة المتباينة في كل صورة من صور الإعراب، فيقول: «ولما كان كل نوع من أنواع «ما» مختلفا في دلالته اللغوية عن النوع الآخر، كان تعدد هذه الأوجه الإعرابية جائزا حين لا توجد قرينة توجه المعنى إلى أحدها دون الآخر، فإذا وجدت القرينة وجب الاقتصار على ما تقتضيه، فليس الأمر على إطلاقه كما يتوهم بعض المتسرعين... وإلا لكانت الألفاظ ودلالاتها فوضى، والقرائن والأسرار اللغوية لا قيمة لها»[2]. وقد بنى عباس حسن رأيه على أن الأوجه كلها جائزة في عمومها، وإنما يتحدد الوجه الصحيح لإعراب «ما» حسب المعنى المستفاد من القرائن السياقية.

(١) إبراهيم السامرائي: «الفعل زمانه وأبنيته» ٧٥.

(٢) عباس حسن: «النحو الوافي» ٣: ٣٧٤.

ومن خلال ما سبق نرى أن آراء المحدثين جاءت في مجملها منتقدة اشتغال النحاة بقضايا لا تفيد المتكلم ولا الدارس، ولا تخدم المعاني التي هي غاية اللغة، وقد حاولوا تقديم دراسات نظرية لمعالجة أوجه القصور التي نسبوها إلى الدرس النحوي، ولم تتحد رؤى المحدثين فيما قدموه، ونحت منحى جدليا في بعض صورها، لكنها قدمت مقترحات جديرة بإبرازها وتحليل الأسلوب من خلالها. ولعل التتبع للاستعمال القرآني يجلي جانبا هاما تطبيقيا لجملتي «نعم» و«بئس».

«نعم» و«بئس» في الاستعمال القرآني:

لقد وردت هاتان الكلمتان في القرآن الكريم في إطار إنشاء معنى المدح للمؤمنين وأفعالهم ومآلهم أو الذم للكافرين وأفعالهم ومآلهم، وقد تتبعت الدراسة هذا الاستعمال القرآني على النحو التالي:

المدح بـ«نعم» في الاستعمال القرآني:

وردت «نعم» في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعا، اتصلت في موضعين منها بـ«ما». وقد جاء المدح بـ«نعم» في إطار تعظيم الله عز وجل لنفسه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وعلى هذا الوجه جاء أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات: ٧٥-٧٦]، وقوله جل جلاله: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات:٤٨]، وقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨]، وفي هذه الآية معنى زائد لتأكيد المدح بتكرار لفظ «نعم».

كذلك فقد جاء مدح للمولى جلّ جلاله على لسان المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣].

كذلك وردت «نعم» في بيان حسن العاقبة والمآل في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦] وقوله عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤].

جاء أسلوب المدح بـ«نعم» في ختام الآية، مؤكدا معنى المدح لممدوح مفصّل في السياق المتقدم على جملة «نعم»، إذ يحسن السكوت عليها لتمام المعنى، ويحسن البدء بما بعدها.

وقد يختتم المعنى الكلي المتقدم بجملة المدح بـ«نعم» فيبدأ معنى جديد بعدها، كقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ

فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ [الكهف: ٣١-٣٢].

وكما في سورة «الصافات» إذ تتوالى آيات أربع تحكي عن أيوب عليه السلام، لتُختتم بقوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [الصافات: ٤٤]، ثم يقول جلّ وعلا: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الصافات: ٤٥]، حيث ينتقل الحديث إلى أنبياء آخرين -عليهم صلاة الله وسلامه -.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٤-٧٥]. وعلى الرغم من أن السياق الكلي جاء في وصف يوم القيامة، إلا أن جملة «نعم» اختتم الله تعالى بها الحديث عن بيان حال المؤمنين وعظم أجرهم.

وقد تختتم الآية بجملة المدح بـ«نعم»، وتأتي الآية التالية مرتبطة بما سبقها في المعنى، ومن ذلك قوله تعالى مبينا من هم العاملون المستحقون الجنة وغرفها وأنهارها، وهو الأجر الممدوح والمثنى عليه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ

فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩].

وعلى شاكلة ذلك جاء قوله عز وجل: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ [ص: ٤٤-٤٥]، إذ توالى الحديث عن سليمان عليه السلام، وكأنما هو تفصيل وبيان لفضله ومدحه من المولى جلّ وعلا.

وللمفسرين والمعربين خلاف في قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النحل: ٣٠-٣١] فمنهم من جعل «جنات عدن» هي المخصوص بالمدح، ومنهم من جعل المخصوص بالمدح محذوفا على الغالب الأعم في الاستعمال القرآني، وتقديره: «ونعم دار المتقين دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره»[1]، وعليه تكون جنات عدن إما خبرا لمبتدأ محذوف، أو تكون مبتدأ خبره «يدخلونها». إذ إن تحديد الموقع الإعرابي وبيان المعنى ينبني كل منهما على الآخر.

وبالنظر للاستعمال القرآني لجملة المدح بـ«نعم» نجد أن ما اصطلح عليه النحاة بتسميته «مخصوصا بالمدح» ورد في آية واحدة على خلاف بين النحاة والمفسرين، ولم يرد في غيرها؛ اكتفاءً بما يوضحه ويجليه

(١) الزمخشري: «الكشاف» ٣: ٥٧٩.

السياق السابق له. كما ينجلي لنا أن ما عدّه النحاة فاعلا اقتصر وروده في القرآن الكريم على أن يكون معرفا بـ(أل) وهو الغالب، أو مضافا لمعرف بـ(أل).

الذم بـ«بئس» في الاستعمال القرآني:

وورد الذم باستخدام «بئس» في أربعين موضعا في القرآن الكريم، وقعت «ما» بعد «بئس» في تسعة مواضع، منها ثلاثة اتصلت فيها بئس بـ«ما» في الرسم القرآني.

وبتتبع مواطن الذم بـ«بئس» في النص القرآني نجد عددا من الأشياء التي ذمها القرآن الكريم، وكان من أبرزها الذم الذي انصب على سوء الخاتمة والمآل إلى جهنم ـ والعياذ بالله ـ كما في قوله: ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦] و﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦] و﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩]، على حذف المخصوص بالذم، اعتدادا بفهم المعنى من السياق.

ومن ذم سوء العاقبة قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨] وقوله: ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]. وقد وردت هذه الآيات عند النحاة في إطار خلافهم في جواز وصف فاعل «نعم» و«بئس»، ويقول القرطبي في تفسيره: ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ أي بئس المدخل المدخول... وهو كما تقول: نعم المنزل دارك، ونعمت المنزل دارك. والمورود الماء الذي يورد، والموضع الذي يورد؛ وهو بمعنى المفعول» ويقول: ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ التقدير: بئس الرفد رفد

المرفود»[1]. وعلى هذا المعنى لا يقع الفاعل موصوفا، فالمورود بمعنى الماء أو الموضع والمقصود به (النار)، وهي المخصوصة بالذم، وفي الثانية – حسب تقدير القرطبي للمعنى – فإن «المرفود» مضاف إليه قام مقام المضاف المحذوف، الواقع مخصوصا بالذم.

أما الزمخشري فإنه يبدو من تفسيره قبوله وصف الفاعل إذ يقدر مخصوصا بالذم، فيقول في الآية الأولى: «بئس الورد الذي يردونه: النار»، وفي الثانية يقول في تقدير المعنى: «بئس الرفد المرفود رفدهم»[2].

كما اقترن سوء المثوى بصفة التكبر في عدد من المواضع منسجمة مع السياق الكلي للآيات، فيقول جل جلاله في سورة النحل: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٢-٢٣]، ثم يتوالى سرد عدد من صفاتهم وسوء فعالهم في عدد من الآيات، ومن ثم يجلي الله سوء مآلهم، ليختم عز وجل الحديث عنهم بقوله جل وعلا: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: ٢٩].

ويتجلى ذلك أيضا في قوله جل جلاله في سورة غافر: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ

(١) القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن»٩/ ٩٣-٩٤.

(٢) الزمخشري: «الكشاف» ٢: ٤٢٨.

فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٧٥-٧٦] فقد جاء السياق في الآية السابقة مشعرا بالفساد في الأرض فرحا وتكبرا.

ومن الذم الذي تناوله القرآن الكريم ذم لمن يُتّخذ وليا من دون الله فيغوي البشر ويتبعونه كما في قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ التي جاءت متممة وخاتمة لمعنى متكامل قبلها إذ يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف:٣٦-٣٨].

ومما جاء في ذم الآلهة تُتّخذ من دون الله قوله جل جلاله: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣] ويتجلى هنا تأكيد الذم بصور شتى، بإدخال اللام على «بئس» وتكرار لفظ الذم.

ومنه قوله تعالى عن إبليس وجنوده: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [٥٠ الكهف]، وفي هذه الآية لم يأت اسم مرفوع ظاهر، وعليه يرى النحاة أن فاعل «بئس» مضمر مفسر بنكرة، وأما «للظالمين» فهي شبه جملة متعلقة بـ(بدلًا)، «ويجوز أن يتعلق (للظالمين) بمحذوف حال، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس البدل إبليس وذريته»[(١)]. ومعنى المذموم جليّ واضح من سياق الآية.

(١) محيي الدين الدرويش: «إعراب القرآن الكريم وبيانه» ٥: ٦١٨.

وقد ترد جملة «بئس» غير مختوم بها الآية، لكنها خاتمة لمعنى الذم قبلها ومجملة له، وقد جاء ذلك في موضعين:

١- قوله تعالى في سورة الحجرات بعدما نهى المؤمنين عن سوء المعاملات بينهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

وقد ذهب المعربون من النحاة إلى أن «الفسوق» هي المخصوص بالذم، وهي توضيح لكلمة «الاسم»؛ إذ المعنى: ذم أن يسمى الرجل كافرا أو فاسقا بعد إسلامه وتوبته، أو أن يفعل ما يستوجب تسميته ووسمه بالفسق إذا فعل ما نُهي عنه من التنابز بالألقاب(١).

٢- قوله تعالى في سورة الجمعة بعدما جعل اليهود كمثل الحمار: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

وقد اختلف المعربون في إعراب «الذين»، فذهب بعض النحويين إلى أن «الذين» في محل رفع على أنها المخصوص بالذم، وقد اقتضى

(١) انظر: القرطبي: «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ٣٢٨. وذكره الطبري في تفسيره، إذ يقول: المعنى: فلا تنابزوا بالألقاب فتستحقوا أن تسموا فساقا، بئس الاسم الفسوق، وترك ذكر ما وصفنا من الكلام اكتفاء بدلالة قوله: {بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ} عليه. انظر: الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ٢١/ ٣٧٢.

هذا الرأي تأويلات، منها: (بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا)، وتكون «الذين» قائمة مقام مضاف حذف، وعلل أصحاب هذا الرأي تأويلهم هذا بوجوب تطابق فاعل بئس والمخصوص بالذم، وهو رأي باد فيه التكلف في المعنى والتأويل.

وذهب غيرهم من النحاة إلى أنها في محل جر صفة لـ«القوم»، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: (هذا المثل) الذي اتضح من السياق قبله، وهو الوجه الأكثر قبولا؛ لقلة التأويل فيه، كما أنه سائر على النهج الغالب في القرآن الكريم، من حذف (المخصوص بالذم) لوضوح معناه من السياق السابق له، ومساير لاختتام الآيات بالذم المجمِل والمؤكِّد للمعنى المفصل قبله.

إذ يلاحظ من خلال تتبع مواضع الذم بـ«بئس» أن جملتها تأتي خاتمة لمذموم مفصل قبلها، حيث يحسن الوقوف عندها لاكتمال المعنى، ويأتي أسلوب الذم مقويا ومؤكدا لما قبله من المعنى. أما ما بعدها من حيث المعنى العام في سياق السورة، فشأنه شأن المدح بـ«نعم»، إذ يقع على ضربين:

أولهما: أن يبدأ معنى جديد، ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة:١٢٦ - ١٢٧].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٦ -٢٠٧].

وقوله عز وجل: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران:١٩٧-١٩٨].

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: ٢٨-٢٩]، حيث اختتم الله عز وجلّ الحديث عن الذين استكبروا في عدد من الآيات المتوالية بقوله تعالى: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، ليبدأ عز وجلّ من بعدُ في بيان حال الذين اتقوا.

ثانيهما: أن تتواصل الآيات في ذات الإطار، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة:٧٣-٧٤]؛ إذ الحديث عن الكافرين والمنافقين الذين أُمِر النبي صلى الله عليه وسلم بجهادهم والغلظة عليهم.

ويمكننا من خلال ما سبق عرضه ملاحظة الشكل الغالب الذي جاءت عليه جملتا «نعم» و«بئس» في القرآن الكريم إذا لم تقع «ما» بعدهما، حيث ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم في أواخر الآيات مدعِّما المعنى السياقي المتكامل قبله، مفعما بمعنى مدح أو ذم. كذلك فإنه لم يبرز في جمل المدح والذم الواردة في القرآن الكريم ما أطلق عليه النحاة (المخصوص بالمدح أو الذم) إلا نادرا وعلى خلاف بين المفسرين، اكتفاء بدلالة السياق السابق عليه. ولم يأت من صور الفاعل التي ذكرها النحاة سوى المعرف بـ(أل)، والمضاف إلى المعرف بـ(أل)، إلا في قوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

إذ نجد أن كلًّا من جملتي المدح والذم بـ«نعم» و«بئس» تتكون من أداة مدح أو ذم يليها ممدوح أو مذموم، تفاصيله يجلوها السياق السابق لهما، لتأتي جملة «نعم» أو «بئس» كالخلاصة لما قبلها مؤكدة ومقوية وموجزة المعنى المتقدم عليها. وعليه ينجلي للمتأمل في هذه المواضع ثمة استخدام خاص لهذا الأسلوب، إضافة إلى الخصوصية البنائية التي أثبتها النحاة على مستوى الكلمة والجملة.

ومن السمات التي يمكن أن نلحظها من خلال النظرة السياقية للاستعمال القرآني لـ«نعم» و«بئس»، ورودهما على سبيل التقابل في عدد من مواضعهما في القرآن الكريم، إذ يتناول القرآن الكريم في سورة النحل حال الكافرين وتختتم الآيات بقوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾، ثم ينتقل جلّ وعلا للحديث

عن المتقين بقوله تعالى: ﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النحل: ٢٩-٣٠].

ومثله في سورة الكهف إذ يقول الله تعالى في اختتام بيان عاقبة الكافرين: ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ [الكهف:٢٩]، ثم يذكر ثواب المؤمنين ليختم الآية بقوله جلّ جلاله: ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ [الكهف:٣١].

دخول «ما» على «نعم» و«بئس» في الاستعمال القرآني:

دخلت «ما» على «نعم» فاتصلت بها خطًّا، وأدت «نعمّا» معنى المدح كـ«نعم»، ولكنها خالفتها بموضع جملتها في السياق، إذ وقعت جملة «نعمّا» في موضعين:

١- وقوعها جوابا للشرط في قوله تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ ﴾ [البقرة:٢٧١].

٢- وقوعها خبرا لإنّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء:٥٨].

ويلاحظ وقوع جملة «نِعِمّا» بالآيتين ركنا أساسيا، يتوقف عليه تمام معنى الكلام؛ فوقعت في الأولى جوابا للشرط، وفي الثانية خبرا لـ«إنَّ».

ويقول الفراء في الآية الأولى: «فإذا جعلت «نعم» صلةً لـ«ما» بمنزلة قولك: (كلما) و(إنما) كانت بمنزلة (حبذا) فرفعت بها الأسماء، من ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾، رفعت (هي) بـ«نعم»[(١)]، ويتضح من قوله: «رفعت بها الأسماء» منهج النحاة في البحث عن العامل والإعمال، إذ يؤكد كون «نعم» هي العامل في رفع الاسم الواقع بعد «نعمّا» المركبة، لكن في نص حديثه أمران يجدر النظر فيهما:

الأول: أنه قد يلي «نعمّا» المركبة مع (ما) فعل كما في الآية الثانية ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾، ولا يلزم وقوع اسم مرفوع بها، وهي حينئذ موصولة إن وقعت مكتفية بما بعدها.

والثاني: انتقال «نعمّا» بعد تركيبها مع «ما» إلى أداة تستوجب استعمالا ومعنى خاصا، كما هو الشأن في (كلما) و(إنما) و(حبذا)، وهي لفتة جديرة بدراستها والنظر فيها وتحليل الأساليب في إطارها.

أما وقوع «ما» بعد «بئس» فقد حصره محمد عبد الخالق عضيمة في تسعة مواضع، جامعا بين «بئس» و«ما» متصلتين ومقطوعتين[(٢)]، وفرق محمد فؤاد عبد الباقي[(٣)] في حصر هذه المواضع في معجمه حسب الكتابة القرآنية[(٤)]، فأورد

(١) الفراء: «معاني القرآن» ١/ ٥٧.

(٢) محمد عبد الخالق عضيمة «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» ١٠: ١٣٦.

(٣) محمد فؤاد عبد الباقي «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» ١١٣-١١٤.

(٤) تناول علماء التجويد - كصاحب المقدمة الجزرية- فصل «بئس» و«ما» وقطعهما في باب المقطوع والموصول، والإجماع حاصل في جميع المواضع عدا موضعين، وستأتي الإشارة لهما، ودراستهما حسب الأرجح وما عليه مصحف الملك فهد.

«بئسما» المتصلة بعد فراغه من إيراد مواقع «بئس» غير المتصلة بـ«ما»، وعامل «ما» المنفصلة عنها كتابة معاملة سائر الكلمات، وعليه ورد مثل قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ضمن مواضع «بئس» حسب ورودها في القرآن الكريم. وعلى هذا النهج تناولت هذه الدراسة ما وقعت فيه «ما» بعد «بئس» على ضربين، هما:

الضرب الأول: أن تنفصل فيه «ما» عن «بئس»: وقد أفادت في مجملها معنى الموصولية، وهو أرجح الأوجه التي أقرها النحاة في فاعل «بئس» وأقربها تناولا، كما أنه لا يخالف في صورته العامة النسق العام في الاستعمال القرآني لـ«بئس»، إذ يأتي في نهاية الآية أو ما قارب نهايتها، مؤكدا معنى الذم المتناول في الآية أو الآيات السابقة له. وقد ورد في ستة مواضع:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢](١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقد تشابهت دلالة الموضعين في ذم ما اختاره الضالون لأنفسهم من درب الضلال وتركهم الهداية، وكأنما اشتروا الضلالة بالهدى، فبئس ما اشتروا.

(١) انظر: محمد فؤاد عبد الباقي «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» ١١٣-١١٤، وفيها خلاف في فصل «بئس» و«ما» وقطعهما، الراجح القطع، وعليه طباعة المصحف.

أما المواضع الأربعة الباقية فقد وردت متقاربة في إطار توبيخ بني إسرائيل وذم أفعالهم، في سورة المائدة بيانًا لفداحة عمل، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة:٦٢-٦٣].

ويعود القرآن الكريم ليذم أفعال بني إسرائيل مجددا بـ«بئس» بعد عدد من الآيات في السورة نفسها، يقول عز وجلّ: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٧٩-٨٠].

وقد اختلف المعربون في إعراب «ما» في هذه المواضع الأربعة، حيث ذهبوا فيها مذاهب، منها: أنها نكرة تامة في محل نصب على التمييز، أو موصولة فهي فاعل، وهو الأيسر فهما والأقرب تناولا.

وقد وقف عدد من العلماء عند الفروق اللغوية الدقيقة بين الفعل والعمل والصنع، حيث تشابهت وتقاربت الآيات الثلاث الأولى في بنائيتها، مع اختلافها في لفظ «يَعْمَلُونَ» و«يَصْنَعُونَ» و«يَفْعَلُونَ»، يقول أبو هلال العسكري: «الفعل: عبارة عما وجد في حال كان قبلها مقدورا، سواء كان عن سبب أو لا»(١).

(١) انظر: أبو هلال العسكري «معجم الفروق اللغوية» ١٣٣.

فالفعل: لفظ عام، يقال لِما كان بإجادة وبدونها، ولِما كان بعِلم أو غير عِلم وقصدٍ أو غير قصد، ولِما كان من الإنسان والحيوان والجمَاد؛ فناسب لفظ «يفعلون» عدم اكتراثهم بالنهي عن المنكر، وتجاهل الأمر والتواني فيه.

وأما العمل فهو: إيجاد الأثر في الشيء ببطء مع امتداد زمان لما كان بقصد وعلم[١]، ولذا يقال: فلان يعمل الطين خزفا»، ولا يقال: هو يفعل ذلك. وقيل: العمل: «هو تعبير عامٌ يشمل الصنائع والأفعال ويضاف إليها إتيان الأمر باستمرار وتكرار»[٢]، وقد جاء في ختام حديث الله تعالى عما اقترفه كثير من بني إسرائيل، مكررين له وقاصدين له قصدا، من المسارعة في الإثم والعدوان وأكل الحرام. وقيل: لأنهم زعموا العلم فعبر عن فعلهم بالعمل.

وأما الصنع فهو من الإنسان فقط لما كان بإجادة، وهو ترتيبُ العمل وإحكامُه على ما تقدَّم علمٌ به[٣]، ولذا ناسب ذم أفعال الرهبان والأحبار، وفي ذلك يقول الزمخشري: «كأنهم جُعِلوا آثم من مرتكبي المناكير؛ لأن كل عامل لا يسمى صانعا، ولا كل عمل يسمى صناعة

(١) انظر: المرجع نفسه ١٣٤.

(٢) «يَصْنَعُوْن، يَعْمَلُوْن، يَفْعَلُوْن تَعْرِيْفُهَا والفَرْقُ بَيْنَهَا فِيْ التَّعْبِيْرِ القُرْآنِيّ» مقال في موقع «أوجه البيان في كلام الرحمن» لعدنان الغامدي https://tafaser.com/

(٣) العسكري «معجم الفروق اللغوية» ١٣٥.

حتى يتمكّن فيه ويتدرب وينسب إليه... ولعمري إن هذه الآية مما يَقِذُ السامع، وينعى على العلماء توانيهم»[١].

وأما قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي سولت وزينت. وقيل: المعنى لبئس ما قدموا لأنفسهم ومعادهم. «أن سخط الله عليهم» «أن» في موضع رفع على إضمار مبتدأ، كقولك: بئس رجلا زيد»[٢].. وإليه ذهب الزمخشري إذ يقول: «أن سخط الله عليهم» هو المخصوص بالذم ومحله الرفع، وكأنه قيل: لبئس زادهم إلى الآخرة سخطُ الله عليهم»[٣]، وأورد القرطبي أقوالا أخرى، فقال: «وقيل: بدل من «ما» في قوله «لبئس» على أن تكون «ما» نكرة فتكون رفعا أيضا. ويجوز أن تكون في موضع نصب بمعنى لأن سخط الله عليه: «وفي العذاب هم خالدون» ابتداء وخبر»[٤].

ويتشابه وقوع جملة «بئس» في الآيات السابقة مع الاستعمال القرآني العام الذي تناولناه في «بئس»، إذ حسن الوقوف عندها، خاتمة لسياق سابق لها، لتأتي «بئس» مؤكدة لمعنى الذم لأمر مذموم تفصيله متقدم، بينما اختلف في الآية «لبئس ما قدمت لهم أنفسهم» على ما أوضحنا.

(١) الزمخشري «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»٢/ ٤٤.
(٢) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ٢٥٤.
(٣) الزمخشري: «الكشاف» ٢ / ٥٤.
(٤) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ٢٥٤.

الضرب الثاني: أن تتصل «ما» بـ«بئس» في الكتابة القرآنية، وذلك في ثلاثة مواضع(١)، وهي:

١- : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: ٩٠].

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة:٩٣].

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ...﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وعلى الرغم من أن النحاة أوقعوا عليها الأوجه الإعرابية والخلافية التي أوردوها في «ما»، يظل أجدرها بالقبول كونها مركبة مع «بئس» تركيب «حبذا» و«قلما» و«طالما»، ولا محل لها من الإعراب. مع جواز كونها موصولة، وهو وجه قريب المأخذ واضح المعنى.

---

(١) والإجماع حاصل على الوصل في موضعين: الأول: قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا﴾ [البقرة: ٩٠].

الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، والخلاف في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٩٣]، والوصل فيها أولى، وعليه طباعة المصحف.

وقعت «بئسما» متفقة مع سابقيها في المعنى العام في أداء معنى الذم، ولكنها مختلفة في موقعها في السياق عن «بئس» في المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فلم تقع خاتمة لحديث مؤكدة ما قبلها خاتمة له، وإنما أتى المذموم مفصلا بعدها: فوقعت في بداية الآية الأولى، وبعد القول في الآيتين التاليتين.

وبالنظر إلى الاستعمال القرآني على هذا الوجه، يمكننا أن نقول إن وقوع «ما» مقترنة بـ«نعم» و«بئس» منحتهما دلالة خاصة وتركيبا خاصا لاستعمال خاص في القرآن الكريم.

وهنا تصل الدراسة إلى خصوصية الدرس الأسلوبي، وأن ربطه بالنصوص الفصيحة– لا سيما القرآن الكريم– يعطي الملامح الدلالية العميقة، كما يدعم الصورة الواقعية لاستعمال الأسلوب في أرقى صوره. وتستحق هذه الأساليب في تناولها المنهج الوصفي، بعيدا عن إعراب الجزئيات في ضوء خلافات جدلية قد تجنح بالدرس النحوي عن غايته الأساسية.

كذلك فإن الاستعمال القرآني أفعم المعاني وأكد بجملتي «نعم» و«بئس» ما قبلهما فوردتا ختاما للآيات، وهو استعمال مغاير لـ«نعمّا» و«بئسما» حال اتصالهما بـ«ما».

والجداول التالية تكشف ما يتعلق بالاستعمال القرآني لـ«نعم» و«بئس».

الجداول التوضيحية:

الجدول (١)

جدول الآيات التي وردت فيها «نِعم» غير موصولة بـ«ما»

م	الآية	الممدوح	موقع جملة «نعم»	المخصوص بالمدح
١	﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا **وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٦]	أجر العاملين (الجنات)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
٢	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ **وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣]	الوكيل (الله جل وعلا)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
٣ ٤	﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ **نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾ [الأنفال: ٤٠]	المولى النصير (الله جل وعلا)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
٥	﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا	عقبى الدار (جنات عدن ونعيمها)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**

م	الآية	الممدوح	موقع جملة «نعم»	المخصوص بالمدح
	وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ **فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد:٢٢—٢٤]			
٦	﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ **وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ** جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا..﴾ [النحل: ٣٠]	دار المتقين (دار الآخرة وما أعدَّ للمتقين من جنات)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له، وذهب بعضهم إلى أن «جنات عدن» هي المخصوص بالمدح**
٧	﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ	الثواب (الجنة ونعيمها)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**

م	الآية	الممدوح	موقع جملة «نعم»	المخصوص بالمدح
	فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٣١]			
٨ ٩	﴿.. وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]	المولى النصير (الله جل وعلا)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
١٠	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٨]	أجر العاملين (الجنة ونعيمها)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
١١	﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات: ٧٥]	المجيبون (الله جل وعلا)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
١٢	﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]	العبد (سليمان عليه السلام)	قرب نهاية الآية، وهي مرتبطة بما بعدها في المعنى	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له

م	الآية	الممدوح	موقع جملة «نعم»	المخصوص بالمدح
١٣	﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا **نِعْمَ الْعَبْدُ** إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]	العبد (أيوب عليه السلام)	قرب نهاية الآية، وهي مرتبطة بما بعدها في المعنى	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
١٤	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ **فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [الزمر: ٧٤]	أجر العاملين (الجنة)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
١٥	﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا **فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾ [الذاريات: ٤٨]	الماهدون (الله جل وعلا)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
١٦	﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا **فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ**﴾ [المرسلات:٢٠- ٢٣]	القادرون (الله جل وعلا)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**

جدول (٢)

الآيات التي وردت فيها «نِعِمّا»

م	الآية	الممدوح	موضع جملة «نعمّا»	المخصوص بالمدح
١	﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ** وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]	الضمير الظاهر «هي» العائد على الصدقات غير المخفية و«ما» مركبة مع «نعم»	وقعت جملة «نعمّا» جوابًا للشرط المتقدم عليها	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
٢	﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ **إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ** إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]	ما يعظ الله به من تأدية الأمانات والحكم بالعدل. و«ما» اسم موصول	وقعت في موضع رفع خبرًا لإنّ الناسخة	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**

جدول (٣)

الآيات التي وردت فيها «بئس» وبعدها اسم مرفوع

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
١	﴿...قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ **وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ١٢٦]	المصير (عذاب النار)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٢	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ **وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [البقرة: ٢٠٦]	المهاد (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٣	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ **وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [آل عمران:١٢]	المهاد (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٤	﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ **وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران:١٥١]	مثوى الظالمين (النار)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٥	﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ	المصير (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
	وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:١٦٢]			السابق له
٦	﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٩٧]	المهاد (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٧	﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٦]	المصير (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٨	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣]	المصير (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٩	﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]	الورد المورود (النار)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له، و«المورود» نعت لـ«الوِرْد». وقيل: «المورود» مخصوص بالذم

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
				بمعنى (الماء) أو (النار) والأول أولى وأظهر
١٠	﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود:٩٩]	الرفد المرفود (ما أعد لهم في جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له، و«المرفود» نعتٌ لـ«الرِفْد» وقيل: «المرفود» مخصوص بالذم على تأويل محذوف، والأول أولى وأظهر
١١	﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد:١٨]	المهاد (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
١٢	﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ	القرار	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
	الْقَرَارُ﴾ [الرعد: ٢٩]	(جهنم)		محدد من السياق السابق له
١٣	﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا **فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ [النحل: ٢٩]	مثوى المتكبرين (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
١٤	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ **بِئْسَ الشَّرَابُ** وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]	الشراب (ماء كالمهل)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
١٥ ١٦	﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ **لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ**﴾ [الحج:١٣]	المولى العشير (من يُدعى من دون الله)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له مع تكرار «بئس» ودخول لام القسم عليها للتوكيد
١٧	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ	المصير (النار)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
	يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا **وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الحج: ٧٢]			
١٨	﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ **وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [النور: ٥٧]	المصير (النار)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
١٩	﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا **فَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾ [ص:٥٦]	المهاد (جهنم)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
٢٠	﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا **فَبِئْسَ الْقَرَارُ** ﴾ [ص:٥٩-٦٠]	القرار (النار)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
٢١	﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا **فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [الزمر: ٧٢]	مثوى المتكبرين (جهنم)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
٢٢	﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر:٧٦]	مثوى المتكبرين (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٢٣	﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٨]	القرين (الشيطان)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٢٤	﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد:١٥]	المصير (النار)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٢٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا	الاسم (الفسوق بعد الإيمان)	قبل نهاية الآية وحسن الوقوف عليه	«الفسوق بعد الإيمان» موضِّح للمذموم تالٍ له على أنه المخصوص بالذم

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
	بِالْأَلْقَابِ **بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ** وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]			
٢٦	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا **فَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [المجادلة: ٨]	المصير (جهنم)	نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له**
٢٧	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا **بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ** وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:٥]	مثل القوم الذين كذبوا وهو تشبيههم بالحمار يحمل أسفارا	قبل نهاية الآية وحسن الوقوف عليه	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له. وعليه تكون «الذين» في موضع خفض نعتا للقوم، وهو الأولى. وقيل: «الذين» في**

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
				موضع رفع مخصوص بالذم، بتقدير مضاف محذوف، وفيه تكلف وتأويل.
٢٨	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ١٠]	المصير (النار)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٢٩	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩]	المصير (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له
٣٠	﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك: ٦]	المصير (جهنم)	نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له

جدول (٤)

الآية التي وردت فيها «بئس» ولم يقع بعدها اسم مرفوع

	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
١	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]	مضمر يعود على إبليس وذريته	في نهاية الآية	لا يوجد، والمعنى محدد من السياق السابق له، ولم يرد اسم مرفوع بعد «بئس» وهذا ما انفردت به هذه الآية

جدول (٥)

جدول الآيات التي وردت فيها «بئس ما»

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئس»	المخصوص بالذم
١	﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢]	ما شروا به أنفسهم، (ما) بمعنى الذي	في نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق المتقدم عليه**

٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا **فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ [آل عمران:١٨٧]	ما يشترون (ما) بمعنى الذي	في نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق المتقدم عليه**
٣	﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ **لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة: ٦٢]	ما كانوا يعملون. (ما) بمعنى الذي	في نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق المتقدم عليه**
٤	﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ **لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [المائدة: ٦٣]	ما كانوا يصنعون. (ما) بمعنى الذي	في نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق المتقدم عليه**
٥	﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ **لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٩]	ما كانوا يفعلون. (ما) بمعنى الذي	في نهاية الآية	**لا يوجد، والمعنى محدد من السياق المتقدم عليه**
٦	﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا **لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ** أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠]	ما قدمت لهم أنفسهم من موالاتهم للمشركين والكافرين	قرب نهاية الآية، وهي مرتبطة في المعنى بما بعدها.	**المعنى محدد من السياق المتقدم عليه. وقيل:** ﴿أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾

		فكان سببا في سخط الله عليهم وخلودهم في العذاب. (ما) بمعنى الذي		مخصوص بالذم، وقيل بدل من (ما)، وقيل في محل نصب على نزع الخافض والتقدير: لِأَنْ سَخِطَ...

جدول (٦)

جدول يوضح مواضع «بئسما» في القرآن الكريم

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئسما»	المخصوص بالذم
١	﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة:٩٠]	الذي اشتروا به أنفسهم وهو كفرُهم	وقعت بداية الآية	والمذموم مفصل بعدها، وذهب بعضهم إلى أن المخصوص بالذم ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾.

م	الآية	المذموم	موقع جملة «بئسما»	المخصوص بالذم
٢	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ **قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٩٣]	ما يأمرهم به إيمانهم المزعوم مما نهى الله عنه	وقعت مبدوءًا بها، جملة القول	**لا يوجد، وجملة القول مكتمل معناها ردًّا على أقوال وأفعال بني إسرائيل**
٣	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا **قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي** أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥٠]	ما فعله قوم موسى من العصيان بعد ذهاب نبيهم	وقعت مبدوءًا بها، جملة القول	**لا يوجد، وجملة القول مكتمل معناها، جاءت عتابًا وتوبيخًا لما فعله بنو إسرائيل بعد ذهاب موسى عليه السلام لملاقاة ربه**

جدول (٧)

جدول يوضح إحصائية الصورة الشكلية التركيبية للاستعمال القرآني لـ«نعم» و«بئس»

الصورة الشكلية التركيبية	موقعها في السياق	عددها
نعم + اسم مرفوع معرف بـ«أل» أو مضاف لمعرف بـ«أل»	في نهاية الآية	١٦
نعمّا + جملة فعلية	ركن يكتمل به معنى الجملة	١
نعمّا + اسم مرفوع (ضمير منفصل)	ركن يكتمل به معنى الجملة	١
بئس + اسم مرفوع معرف بـ«أل» أو مضاف لمعرّف بـ«أل»	في نهاية الآية	٢٨
بئس + اسم مرفوع معرف بـ«أل» أو مضاف لمعرف بـ«أل»	قبل نهاية الآية	٢
بئس+ اسم منصوب	في نهاية الآية	١
بئس + ما+ جملة فعلية	في نهاية الآية	٥
بئس + ما+ جملة فعلية	قبل نهاية الآية	١
بئسما + جملة فعلية	**بداية آية أو بداية جملة القول**	٣

الخاتمة والنتائج:

١- المدح الذم معنيان يؤديان من خلال اللغة بصور متعددة، وبكلمات امتلأت بها المعاجم، لكن المعنِي بهما في الدرس النحوي هو استعمال «نعم» و«بئس» و«حبذا» و«لا حبذا» في تراكيب محددة، وقف عندها النحاة مستنبطين لقواعدها وأحكامها.

٢- في أسلوب المدح والذم صارت «نعم» و«بئس» عنوانا للباب النحوي الذي يدرس أسلوبي المدح والذم؛ لأنهما الأكثر استخداما، والأكثر أحكاما، موازنة بكلمتي «حبذا» و«لاحبذا» اللتين لم تردا في النص القرآني.

٣- صاغت العرب على المستوى الصرفي أوزانا مغايرة لتأدية معان خاصة، ويعد منها بناء «نِعْمَ» و«بِئْسَ» على المستوى الصرفي، إذ بُنيتا بناء خاصا ناسب خصوصيتهما الدلالية، وعلى غرار ذلك صاغت العرب من الأفعال الثلاثية على (فَعُل) لتأدية دلالة المدح والذم، وقد ورد استعمال هذه الصيغة في القرآن الكريم في عدة مواضع.

٤- يستنبط من الدرس النظري لأسلوبي المدح والذم أن للنحاة إشارات وملاحظات جديرة بالوقوف عندها لتفعيل درسهم النحوي، نظرا لإدراكهم العميق لمعاني اللغة، ومعايشتهم لها، وإدراكهم لمستوياتها العامة والخاصة الرفيعة.

٥- جاء استعمال القرآن الكريم لـ«نعم» و«بئس» لاستيفاء معنى المدح أو الذم في خواتم الآيات، أو قرب نهاياتها، إذ تأتي جملة «نعم» و«بئس» مؤكدة ومقوية المعنى المستدلّ عليه بالسياق، والمضمن في الآية أو الآيات السابقة لها، وعليه جاء الأصل الغالب في القرآن الكريم الاستغناء عن المخصوص بالمدح أو الذم اكتفاء بدلالة السياق السابق عليه.

٦- جاءت جملة «نعم» و«بئس» مجمِلة وموجزة لما قبلها من تفاصيل؛ تتحدد بموجبها الدلالة الدقيقة للممدوح أو المذموم، الذي يأتي ملائما - بلفظه الدقيق ومعناه - السياق الوارد فيه.

٧- وردت «ما» بعد «بئس» غير متصلة بها خطا في ستة مواضع، متلوةً بجملة فعلية، وهي موافقة في أحكامها التركيبية العامة لمواضع «بئس»، ويعدّ من أيسر الأوجه الإعرابية وأقربها تناولا عدّ «ما» موصولة، والجملة بعدها صلة الموصول.

٨- يعد ورود «نعمّا» و«بئسما» قليلا في الاستعمال اللغوي عامة والقرآني خاصة، وذلك موازنة بورود «نعم» و«بئس» دون «ما»، وهو استعمال له خصوصيته الدلالية، التي يجدر الوقوف عندها، بعيدا عن الخلافات الإعرابية. مع التنبيه على ما يلي:

أ/ وردت «نعمّا» في موضعين، والأيسر عدّ «ما» موصولة إذا تلتها جملة فعلية، وعدّها مركبة كـ«حبذا» إن تُلِيت باسم مرفوع.

ب/ وردت «بئسما» في ثلاثة مواضع، بداية آية في موضع منها وبداية جملة القول في الموضعين الآخرين، فخالفت مواضع «بئس» الأخرى التي اختتمت بها الآيات، كما اتضح المذموم واكتمل معناه بالجملة الفعلية التالية لـ«بئسما» وما بعدها، وجاز فيها كونها مركبة كتركيب «حبذا» مذموما بها الفعل الواقع بعدها، كما جاز كون «ما» موصولة، والجملة بعدها صلة الموصول.

٩- جرفت الخلافات النظرية النحو في بعض الأحيان عن غايته، كما أن محاولات النحاة البحث عن الموقع الإعرابي لكل كلمة استهلكت جزءا كبيرا من جهدهم، برز معه قصور في دراسة الأساليب، رغم إدراكهم لخصوصيتها التركيبية، مما أتعب ذهن المتعلمين، وأثقل كاهلهم، وصرف ذهنهم عن دقائق المعاني التي أوردها النحاة وسط جدلهم.

١٠- قدم المحدثون دراسات جادة، انتقدوا فيها الدرس النحوي القديم، وقدموا عددا من المقترحات جديرة بالنظر فيها، ولكنها في مجملها دراسات نظرية، وإنما تتحقق فائدتها من خلال الدرس التطبيقي والواقع اللغوي.

١١- يمكن أن نعد المدح والذم من الأساليب المسبوكة، وهي مجال خصب للدراسة على مستوى البنية الصرفية والتركيب النحوي والوِجهة الدلالية، على أن تربط جميعا بالدراسة النظرية والتطبيقية.

١٢- لابد من ربط الدرس النحوي الأسلوبي بالنصوص الراقية التي على قمتها يأتي القرآن الكريم، ليتمكن الدارس من إدراك المعاني والأساليب النحوية إدراكا سليما، يربط فيه أحكام القاعدة النظرية بمجالها التطبيقي في استعمال اللغة.

قائمة المصادر والمراجع

١- إبراهيم السامرائي «الفعل زمانه وأبنيته»، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٦م.

٢- ابن الأنباري (كمال الدين عبد الرحمن بن أبي الوفا) «الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين»، ٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

٣- ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبدالله، ت٦٧٢هـ): «شرح التسهيل»، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وطارق فتحي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م.

٤- ابن مالك «شرح الكافية الشافية»، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

٥- ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل، ت٧١١هـ): «لسان العرب»، تحقيق: عبدالله علي كبير وآخرون، القاهرة: دار المعارف (د.ت).

٦- ابن الناظم (بدر الدين بن محمد بن مالك، ت٦٨٦هـ): «شرح ألفية بن مالك»، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبدالحميد، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨م.

٧- ابن هشام (جمال الدين بن هشام الأنصاري، ت٧٦١هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» تحقيق: محمد محيي الدين. صيدا ــ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٥هـ.

٨- ابن يعيش(موفق الدين بن يعيش بن علي، ت٦٤٣هـ): «شرح المفصل». بيروت: عالم الكتب (د.ت).

٩- الأشموني (أبو الحسن نور الدين علي بن محمد) «شرح الأشموني على ألفية ابن مالك». بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

١٠- تمام حسان «الخلاصة النحوية». القاهرة: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٠م.

١١- الرضي (رضي الدين محمد بن الحسن، ت ٦٨٦هـ): «شرح كافية ابن الحاجب». بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

١٢- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود، ت٥٣٨هـ): «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل». بيروت: دار المعرفة (د.ت).

١٣- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): «الكتاب».تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل، ط١، (د.ت).

١٤- السيوطي (الحافظ جلال الدين، ت ٩١١هـ): «همع الهوامع في شرح جمع الجوامع». بيروت: دار المعرفة (د.ت).

١٥- الصبان (محمد بن علي الصبان، ت ١٢٠٦هـ): «حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك»، ج١. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.

١٦- عباس حسن «النحو الوافي». مصر: دار المعارف (د.ت).

١٧- عبدالرحمن محمد أيوب: «دراسات نقدية في النحو العربي» ج١، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٧م.

١٨- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري، ٩٢٠هـ)، «معجم الفروق اللغوية»، تحقيق: محمد إبراهيم أبوسليم، القاهرة: دار العلم والثقافة، ١٩٩٧م.

١٩- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ٦٧١هـ) «الجامع لأحكام القرآن»، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣٥م.

٢٠- محمد خيرحلواني: «المغني الجديد في علم الصرف» بيروت: دار الشروق العربي، ط٥، ١٩٩٩م.

٢١- محمد عبد الخالق عضيمة «دراسات لأسلوب القرآن الكريم»، القسم الثالث/ الجزء الثالث، ج١٠. القاهرة: دار الحديث، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٢- محمد فؤاد عبد الباقي: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٦م.

٢٣- محيي الدين الدرويش: «إعراب القرآن الكريم وبيانه»، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٨٨م.

٢٤- يوسف الحمادي «النحو في إطاره الصحيح» مصر: دار مصر للطباعة، ١٩٩٠م.